

نؤمن بالروح القدس

في المؤمن

الدرس الرابع

نص الدرس

 **thirdmill**

تعليمٌ كتابيٌّ، للعالم، مجاناً.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة 1997، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرسة لتقديم:

تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجانًا.

هدفنا هو توفير التعليم المسيحي بالمجان لمئات الآلاف من القساوسة والقادة المسيحيين في جميع أنحاء العالم الذين يفتقرون إلى التدريب الكافي للخدمة. نحقق هذا الهدف من خلال إنتاج وتوزيع منهاج لاهوتي متميز بوسائط إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي الإنجليزية، والعربية، والماندرين الصينية، والروسية، والإسبانية. كما يتم ترجمة مناهجنا إلى أكثر من اثنتي عشرة لغة أخرى من خلال شركائنا في الخدمة. يتكون المنهاج من دروس الفيديو المبني على الرسوم التصويرية، وتعليمات مطبوعة، وموارد على الإنترنت. وهو مصمم لاستخدامه من قبل الكليات، والمجموعات، والأفراد، سواء عبر الإنترنت أو في مجموعات للدراسة.

على مر السنين، قمنا بتطوير طريقة فعّالة من حيث التكلفة لإنتاج دروس الوسائط المتعددة والحائزة على جوائز لأفضل المحتويات والجودة. إن كتابنا ومحررينا مؤهلون من الناحية اللاهوتية، والمترجمون لدينا مدربون لاهوتيًا ومتحدثون أصليون للغات المستهدفة. كما تحتوي دروسنا على اسهامات لمئات من أساتذة اللاهوت والرعاة من جميع أنحاء العالم. بالإضافة إلى ذلك، يلتزم مصممو الرسومات، والفنانون، والمنتجون لدينا بأعلى معايير الإنتاج باستخدام أحدث التجهيزات والتقنيات.

من أجل تحقيق أهدافنا للتوزيع، أقامت خدمات الألفية الثالثة علاقات استراتيجية للشراكة مع الكنائس، كليات اللاهوت، المعاهد الدينية، المرسلين، القنوات الإذاعية والمحطات التلفزيونية الفضائية المسيحية، وغيرها من المؤسسات. وقد أدت هذه العلاقات بالفعل إلى توزيع عدد لا يُحصى من دروس الفيديو على القادة، والقساوسة، وطلاب اللاهوت المحليين. تعمل مواقعنا على شبكة الإنترنت أيضًا كطرق للتوزيع وتوفر مواد إضافية لاستكمال دروسنا، بما في ذلك إرشادات حول كيفية بدء مجموعة للدراسة خاصة بك.

تعترف مصلحة الضرائب الأمريكية بهيئة خدمات الألفية الثالثة باعتبارها مؤسسة خاضعة للإعفاء الضريبي. إننا نعتمد على التبرعات السخية من الكنائس، والمؤسسات، والشركات، والأفراد. للمزيد من المعلومات عن خدماتنا، ولمعرفة كيفية المشاركة،

يُرجى زيارة موقعنا على الإنترنت: <http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

I .المقدمة

II .التجديد

أ. الولادة الجديدة

ب. التبكي

1. شدة وكثرة الخطية

2. بشاعة الخطية

3. إهانة الخطية

4. الحالة الميؤوس منها التي تسببها الخطية

ج. التبرير

د. التقديس

III .الحياة المسيحية

أ. السكنى

ب. التقديس

ج. الشفاعة

د. الحفظ

IV .الخاتمة

نؤمن بالروح القدس

الدرس الرابع

في المؤمن

المقدمة

في أيام مملكة إسرائيل القديمة، أعدَّ داوُدُ الملكُ الخُططَ لبناءِ هيكلِ الله. بل وجمعَ الكثيرَ من الموادِ اللازمةِ لبنائه وتزيينه، ولا سيما المعادنَ والجواهرَ النفيسة. لكنَّ مهمةَ البناءِ الفعليةَ تُركتَ لسليمانَ ابنِ داود. وبمجردِ انتهاءِ سليمانَ من بناءِ الهيكلِ، ملأَ مجدُّ الربِّ المسكنَ، ووضعَ الربُّ اسمه فيه إلى الأبد.

يشبه هذا عملُ الله في حياةِ المؤمنين إلى حدِّ ما. فقد خُططَ اللهُ الآبُ لخلصنا. وأتمَّ ابنُه، الربُّ يسوع، العملَ اللازمَ لهذا الخِلاص. أما الروحُ القدسُ فهو يملأنا ويسكنُ فينا، ضامنًا استعلانَ خطيئةِ الآبِ وعملِ الابنِ في حياتنا إلى الأبد. في الحقيقة، شبَّهَ الرسولُ بولس، في رسالته الأولى إلى كورنثوس، المؤمنين بالهيكلِ بصورةٍ مباشرة، تحديداً لأن الروحَ القدسَ يسكنُ فينا.

هذا هو درسنا الرابعُ في سلسلةِ نؤمن بالروح القدس. وقد وضعنا له عنوانَ "في المؤمن"، لأننا فيه سنتناولُ عملَ الروحِ القدسِ المختصَّ بتطبيقِ الخِلاصِ على المؤمنين أفرادًا. يعدُّ الخِلاصُ عملاً ثالوثيًا بالكامل. بكلماتٍ بسيطةٍ، خُططَ الآبُ لخلصنا. فهو الديانُ الذي كانَ يَلزِمُ استِرضاءَ غَضَبِهِ مِنْ خِلالِ ذَبِيحَةِ الْمَسِيحِ نِيَابَةً عَنَّا. وَهُوَ مَنْ يَهْبِئُنا الْخِلاصَ بِالنِّعْمَةِ، بِوِاسِطَةِ الْإِيْمَانِ، فِي الْمَسِيحِ. أَمَّا الْإِبْنُ فَقَدْ تَجَسَّدَ صَانِرًا يَسُوعَ. وَأَتَمَّ خِلاصَنَا مِنْ خِلالِ حَيَاتِهِ الْكَامِلَةِ، وَمَوْتِهِ الْكَفَّارِيِّ، وَقِيَامَتِهِ مُنْتَصِرًا وَصُعودِهِ. لَكِنَّ الْرُوحَ الْقُدُسَ هُوَ مَنْ يُطَبِّقُ فِي الْإِسْئاسِ الْعَنَاصِرَ الْمُخْتَلِفَةَ لِلْخِلاصِ عَلَى حَيَاةِ الْمُؤْمِنِينَ.

في اللاهوتِ النظامي، يتمُّ التعاملُ بوجهٍ عامٍ مع عملِ الروحِ القدسِ في تطبيقِ الخِلاصِ على المؤمنين باعتباره جزءًا من السيتورولوجي، أي عقيدة الخِلاص. يتمُّ عادةً تناولُ السيتورولوجي في جزأين رئيسيين، يُعرفان بأسمائهما اللاتينية. من ناحيةٍ، هيسْتوريا سالوتيس (*historia salutis*)، أو تاريخُ الخِلاصِ، وهو الأحداثُ والأعمالُ الخِلاصيةُ التي أجراها اللهُ، والتي تُنمِّمُ الخِلاصَ لشعبه. وكما رأينا في دروسٍ سابقةٍ، لطالما لعبَ الروحُ القدسُ دورًا هامًا في تاريخِ الخِلاصِ من خلالِ أعمالِ عنايةٍ كثيرة. ومن ناحيةٍ أخرى، أوردو سالوتيس (*ordo salutis*)، التي تعني ترتيبَ الخِلاصِ، وهو الترتيبُ المنطقيُّ والزمنيُّ لتطبيقِ الروحِ القدسِ لجوانبِ الخِلاصِ المختلفةِ على المؤمنين أفرادًا.

وبما أن هذا الدرس يسلط الضوء على عمل الروح القدس في تطبيق الخلاص على المؤمنين، فإننا سنتطرق فيه في المقام الأول إلى جوانب ترتيب الخلاص.

سنستعرض فيما يلي عمل الروح القدس في المؤمن تحت عناوين رئيسيين. أولاً، سنتناول تطبيقه للخلاص أولاً في أثناء تجديدها، أي في بداية خلاصنا. وثانياً، سنوضح تطبيقه المستمر للخلاص في حياتنا المسيحية. لنتناول أولاً عمل الروح في أثناء التجديد.

التجديد

تشير كلمة "التجديد" إلى تحول من شيء إلى شيء آخر. في بعض التقاليد المسيحية، يعدُّ التجديد حدثاً محددًا تمامًا فيه يُقبل شخص ما إلى الإيمان المخلص. لكن في هذا الدرس، سنستخدم الكلمة بشكل أكثر عمومًا للإشارة إلى مراحل الخلاص الأولى، بغض النظر عن كيفية اختبار الإنسان لها.

تَخْتَلِفُ كُلُّ قِصَّةِ تَجْدِيدٍ عَنِ الْأُخْرَى، وَبِالْتَّالِي لَا نَجْرُؤُ عَلَى وَضْعِ الْجَمِيعِ فِي فِتْنَةٍ مُعَيَّنَةٍ، قَائِلِينَ إِنَّ الْأَمْرَ لَا يَدُّ وَأَنْ يَتِمَّ بِهَذِهِ الصُّورَةِ. لَكِنْ بَغْضِ النَّظَرِ عَمَّا يَحْدُثُ، فَإِنَّ عَمَلَ الرُّوحِ الْقُدْسِ هُوَ الَّذِي يَجْنِدُنَا، وَيَكِنُّنَا عَلَى الْخَطِيئَةِ، وَيَجْعَلُنَا نَرَى حَاجَتَنَا لِلْخَلاصِ، ثُمَّ يَمْنَحُنَا الْإِيمَانَ الْحَقِيقِيَّ، أَيْ الثَّقَةَ فِي يَسُوعَ، الَّذِي نَحْتَاجُهُ كَيْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَخْلُصَ.

— ق. مايك أربورن

سننظر إلى أربعة جوانب من عمل الروح القدس في أثناء التجديد. أولاً، سنتناول الولادة الجديدة التي يجريها في أرواحنا. ثانياً، سنسلط الضوء على تكبته لنا على الخطية. وثالثاً، سنتحدث عن تبرير الروح لنا مما ينتج عنه الغفران والبر. ورابعاً، سنذكر الجوانب المبدئية من قوة تقديسه في حياتنا. لنبدأ من الولادة الجديدة التي يجريها الروح القدس.

الولادة الجديدة

تَعْنِي كلمة "الولادة الجديدة" "الخلق ثانية"، أو "الولادة من جديد". وفي اللاهوت الأكاديمي، هي "حدثٌ فيه ينتقل إنسانٌ من حالة الموتِ الروحيِّ إلى حالة الحياةِ الروحيَّة". يأتي جميعُ البشرِ إلى هذا العالمِ في حالةٍ من الموتِ الروحيِّ. ونظلاً أمواتاً روحياً ما لم، وإلى أن، يُجريَ الروحُ القدسُ الولادةَ الجديدةَ فينا. فإننا نرثُ موتنا الروحيَّ من آدم، الإنسانِ الأول. فحينَ أخطأ آدمُ في جنةِ عدن، لعنَ اللهُ كلَّ البشريةِ بموتِ جسديٍّ وروحيٍّ أيضاً. وفي تلك اللحظة، صارَ آدمُ وحواءُ فاسدينِ روحياً. وهذا الفسادُ الروحيُّ هو جوهرُ الموتِ الروحيِّ. في رسالةِ رومية 7: 14-25، أشارَ بولسُ إلى هذا باسمِ "الجسدِ" أو الطبيعةِ الخاطئة. ووصفَهُ بقوله إن الخطيئةَ تسكنُ بداخلِ أجسادنا، بل وتتحكَّمُ في أذهاننا.

علاوةً على ذلك، يؤثرُ الموتُ الروحيُّ على كلِّ النسلِ الطبيعيِّ لآدمَ وحواء. فكما أشارَ بولسُ في رسالةِ رومية 5: 12-19، كان آدمُ ممثلاً أمامَ الله. وبالتالي، فإننا نشتركُ جميعاً في ذنبه، وفي عواقبِ ذلك الذنبِ من موتِ جسديٍّ وروحيٍّ. وتؤكدُ نصوصٌ مثلُ إنجيلِ يوحنا 3: 5-7، ورسالةِ رومية 8: 10، ورسالةِ كولوسي 2: 13 على أن كلَّ إنسانٍ يأتي إلى هذا العالمِ هو ميتٌ روحياً. لم يفلتْ من هذه اللعنةِ سوى يسوع، كما نقرأُ في رسالةِ العبرانيين 4: 15، 7: 26.

بالرغمِ من كوننا أمواتاً روحياً، لكن لا تزالُ نفوسنا هي التي تحركُ أجسادنا وتدفعُها إلى العمل. فإننا لا نزالُ نفكرُ، ونشعرُ، ونحلمُ، ونختارُ، ونتفاعلُ مع العالم. لكن نتيجةً لفسادنا وموتنا الروحيِّ، صارَ البشرُ عاجزينِ أديباً عن إرضاءِ الله. فليستْ لنا القدرةُ على إرضائه أو استحقاقِ بركاته. فنحن لا نحبه. ولا نؤمنُ به. بل كلُّ ما نعملُه ينبعُ من قلوبنا ودوافعنا الأثمة. كما أننا مستحقون بعدلٍ غضبه، وفي حاجةٍ ماسةٍ إلى الخلاص.

يلخصُ البندان الرئيسيان الثالثُ والرابعُ للعقيدة في إقرارِ إيمانِ دورت، الذي صدرَ في عام 1619 م، مشكلةَ الموتِ الروحيِّ كالتالي:

إن جميعَ البشرِ قد حُبلَ بهم بالخطية، ويُولَدون كأبناءً للغضب، غيرَ مستأهلين لأبي صلاحٍ يؤوّلُ إلى خلاصهم، ميالين إلى الشر، أمواتاً في خطاياهم، وعبداً للخطية؛ وبدونِ نعمةِ الولادةِ الجديدةِ التي للروحِ القدس، هم غيرُ راغبين وغيرُ

قادرين على الرجوع إلى الله، أو على إصلاح طبيعتهم المشوّهة، أو حتى على إخضاع أنفسهم لإصلاح كهذا.

كما قال بولس في رسالة رومية 8: 6-8:

لأنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتُ ... لِأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عِدَاوَةٌ لِلَّهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِئَامُوسِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ أَيْضًا لَا يَسْتَطِيعُ. فَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللَّهَ (رومية 8: 6-8).

هذا وضعٌ بَشَعٌ بالنسبة للبشر. لكنّه يفسرُ أيضًا الأهمية الشديدة للولادة الجديدة.

إِنَّ الْوِلَادَةَ الْجَدِيدَةَ مُصْطَلَحٌ لَاهُوتِيٌّ يُشِيرُ إِلَى - بِالْإِسْتِعَانَةِ بِكَلِمَاتِ وَايْنِ جِرُودِم - ذَلِكَ "الْعَمَلِ السِّرِّيِّ الَّذِي يُجْرِيهِ اللَّهُ، وَفِيهِ يَصْعُ بِدَاخِلِنَا حَيَاةً رُوحِيَّةً جَدِيدَةً". وَبِالتَّالِي، فَإِنَّ الْوِلَادَةَ الْجَدِيدَةَ عَمَلٌ فَائِقٌ لِلطَّبِيعَةِ يُجْرِيهِ رُوحُ اللَّهِ. وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِتَجْدِيدِ الْقَلْبِ وَتَغْيِيرِهِ إِلَى شِبْهِ اللَّهِ. وَهُوَ تَغْيِيرٌ فِي حَيَاةِ الْخَاطِئِ. فَإِنَّ الشَّخْصَ الْمَوْلُودَ مِنْ جَدِيدٍ هُوَ مَنْ تَحَوَّلَ مَوْتُهُ الرُّوحِيُّ إِلَى حَيَاةٍ رُوحِيَّةٍ. وَالْوِلَادَةُ الْجَدِيدَةُ عِلَامَةٌ تُمَيِّزُ الْمُؤْمِنَ الْحَقِيقِيَّ. وَهِيَ عَمَلٌ لِلَّهِ فِي تَغْيِيرِ قُلُوبِ الْبَشَرِ. يَسْتَعْمِدُ حَزَقِيَالُ النَّبِيَّ كَلِمَاتٍ مِثْلَ "تَزْعُ الْقَلْبِ الْحَجْرِيِّ وَاسْتَبْدَالِهِ بِقَلْبٍ لِحْمِي".

— د. ق. الكانون ألفريد سيباهيني

في الولادة الجديدة، تنتقل نفوسنا من الموت الروحي إلى الحياة الروحية. نرى هذا الانتقال من الموت إلى الحياة في مواضع مثل إنجيل يوحنا 5: 24، ورسالة أفسس 2: 4، 5، ورسالة كولوسي 2: 13. وفي مواضع أخرى، يصف الكتاب المقدس هذه العملية من منطلق الولادة ثانية. كما قال يسوع في إنجيل يوحنا 3: 3-6:

إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُؤَدُّ مِنْ فَوْقُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ ... إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُؤَدُّ
مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ. الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ،
وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ (يوحنا 3: 3-6).

إن الحال اليوناني أنوثين (ἄνωθεν) الذي تُرجم "من فوق" في عبارة "يُولَدُ مِنْ فَوْقُ"، يمكن
أيضاً أن يُترجم "ثانية". وفي هذه الحالة، كإلا المعنيين صحيحان. فإننا ننال ولادة ثانية – أي ولادة
لأرواحنا – من فوق، أي من الروح القدس. بالطبع، لدى جميع البشر أرواحٌ تحرك أجسادهم. لكن
المؤمنين وحدهم لديهم حياةٌ روحية، لأن المؤمنين وحدهم قد نالوا الولادة الجديدة بواسطة الروح
القدس. استمع إلى ما قاله بولس في رسالة تيطس 3: 5:

خَلَّصَنَا [اللَّهُ] بِغَسْلِ الْمِيَلَادِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ (تيطس 3: 5).

في بعض الترجمات، تُترجم الكلمة اليونانية بالينجينيسيا (παλιγγενεσία) المترجمة هنا
"الميلاد الثاني" إلى "الولادة الجديدة"، وهي ترجمة أخرى مشروعة تماماً.
حين ننال الولادة الجديدة بالروح القدس، يهب الروح حياةً لأرواحنا، ويجعلنا نميل نحو الله.
وكما علم بولس في رسالة رومية 6: 4-14، إن ولادتنا الجديدة هي أيضاً موثنا عن الخطية،
وتحررنا من سيادتها.

تُؤمّن بعض التقاليد الإنجيلية بأننا فقط بعد أن نُبدي إيماناً مُخلصاً، ننال الولادة الجديدة من
الروح القدس. وتقول تقاليد أخرى إن الشخص الذي لم ينل الولادة الجديدة هو عاجز عن إقتناء إيمانٍ
مخلصٍ أو إبدائه، وبالتالي، لا بد للولادة الجديدة أن تأتي أولاً بحسب المنطق. لكن علينا أن نتفق
جميعاً على كون الولادة الجديدة عملاً معجزاً للنعمة يبطل الأعمال العادية للعالم الطبيعي. حين
ننال الولادة الجديدة من الروح القدس، فهو يُقيمنا من الموت بمنح حياةٍ لأرواحنا. كما أنه يُغيّر
طبيعتنا كبشر، مسترداً قدرتنا الأدبية، ومُعطيًا إيانا قلوباً جديدة تُريد أن ترضي الله.

القلب المولود ثانية هو قلب تنبض فيه حياة الروح القدس، فتجعلنا نرى الله
بصورة جديدة، بحيث نرى رحمته ورأفته من حولنا. وهو يأتي إلينا كأب في عمق
حاجتنا إلى الرحمة والنعمة. وهكذا، فهو يأتينا، ويجعلنا نميل إليه، ونحبه. وبهذا

نُصِيرُ رَاغِبِينَ فِي أَنْ نَخْدِمَهُ بِكُلِّ كَيَانِنَا، وَيَصِيرُ هَذَا أَمْرًا يُمَيِّزُ هُوَيْتَنَا الْجَدِيدَةَ.
وَأُظَنُّ أَنَّ هَذِهِ الْهُوِيَّةَ تَتَمَيِّزُ بِمَحَبَّةٍ جَدِيدَةٍ أَوْ سَيِّدٍ جَدِيدٍ نَخْدِمُهُ.
— د. مارك سوسي

بعد أن تناولنا التجديد من حيث الولادة الجديدة التي يجريها الروح القدس لأرواحنا، لننتحدث الآن عن تبكيته لنا على الخطية.

التبكيث

في علم اللاهوت، يشير مصطلح "التبكيث" إلى "الوعي بذنب خطايانا وبكونها خاطئة". علم يسوع بشكل صريح عن تبكيث الروح في إنجيل يوحنا 8: 16-11، حيث نقرأ هذه الكلمات:

يُبَكِّثُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: أَمَّا عَلَى خَطِيئَةٍ فَلَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
بِي. وَأَمَّا عَلَى بَرٍّ فَلَأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلَا تَرَوْنِي أَيْضًا. وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلَأَنَّ
رَبِّيسَ هَذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ (يوحنا 8: 11-11).

يُبَكِّثُنَا الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى خَطِيئَتِنَا بَعْرُضٍ أَنْ يَقُودَنَا إِلَى الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِكِي نَنَالَ
الْخَلَاصَ. يَبْدَأُ الرُّوحُ بَلْفَتِ انْتِبَاهِنَا إِلَى خَطِيئَتِنَا، لِكِي نَقْرَ بِذَنْبِنَا. بَعْدَ ذَلِكَ يَقْتَادُنَا إِلَى أَنْ نَتَفَقَّ مَعَهُ
عَلَى اسْتِحْقَاقِنَا بَعْدَلٍ لِعُضْبِ اللَّهِ. كَمَا يَنْشِئُ فِينَا انْسِحَاقًا وَانْكَسَارًا عَلَى الْخَطَا الَّذِي ارْتَكَبْنَاهُ. وَيَقُودُنَا
إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِخَطِيئَتِنَا، وَالتَّوْبَةِ عَنْهَا، عَلَى رَجَاءِ نَوَالِ الْغَفْرَانِ وَالْخَلَاصِ فِي الْمَسِيحِ.
يُعَدُّ التَّبَكِّيْتُ أَحَدَ أَعْمَالِ الرُّوحِ الْقُدُسِ الْأَوَّلَى، عِنْدَمَا يَدْعُو غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْإِيمَانِ. وَلَكِنْ
الرُّوحُ قَدْ يَدْعُو الْكَثِيرَ مِنَ الْبَشَرِ وَيَبَكِّثُهُمْ، وَلَا يُؤَدِّي هَذَا إِلَى الْخَلَاصِ. فَقَدْ يَدْعُونَ إِلَى التَّوْبَةِ
وَالْإِيمَانِ، وَقَدْ يَدْرِكُونَ بِالْحَقِيقَةِ كَوْنَهُمْ خَطَاةً، وَمَعَ هَذَا لَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْمَسِيحِ. عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ،
فِي سَفَرِ إِشْعِيَاءَ 59: 12، وَصَفَ النَّبِيُّ شَعْبَ عَهْدِ اللَّهِ الْخَطَاةَ كَالْتَالِي:

لَأَنَّ مَعْاصِينَا مَعَنَا، وَأَنَامْنَا نَعْرِفُهَا (إشعيا 59: 12).

فقد بُكَّتَ الشعبُ إلى حدِّ إدراكِهِم لخطاياهم وإقرارِهِم بها. لكنْ في العددِ 20، أعلنَ الربُّ:

وَيَأْتِي الْفَادِي إِلَى صِهْيُونَ وَإِلَى التَّائِبِينَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ فِي يَغُوبَ (إشعياء 59: 20).

فلم يكنْ كافياً أن يُدعى الشعبُ إلى الإيمان، وأن يشعروا بالتبكي. فلكي ينالوا الفداء، كان عليهم أيضاً أن يتوبوا.

لكن حينَ نتحدثُ عن تبكيِ الروحِ كجزءٍ من التجديد، نقصدُ بهذا من تصيرُ دعوةَ الروحِ فيهم "فعالة" - أي من يُنشئُ فيهم تأثيره بالنعمة توبةً صادقةً وخلصاً حقيقياً. هذا عملٌ خاصٌ لا يكفي بإعدادنا لسماع الإنجيل، بل يطبِّقُ علينا الخلاصَ فعلياً. نجدُ مثلاً جيداً على هذا النوع من التبكيِ في عظةِ بطرسَ في الأصحاحِ 2 من سفرِ أعمالِ الرسل. ففي يومِ الخمسينِ الأولِ بعدَ صعودِ المسيحِ إلى السماء، كررَ بطرسُ بالإنجيلِ إلى جمعٍ غفيرٍ من اليهودِ كانوا مجتمعين في أورشليم. وبكَّتَ الروحُ القدسُ الكثيرَ منهم على خطاياهم للخلاص، فنتجَّ عن هذا إقبالُ الآلافِ إلى الإيمان. استمعَ إلى روايةِ لوقا في سفرِ أعمالِ الرسلِ 2: 37-41:

فَلَمَّا سَمِعُوا نُخِسُوا فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَالُوا ... «مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ؟» فَقَالَ لَهُمْ بَطْرُسُ: «ثُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ...». وَبِأَقْوَالِ أُخَرَ كَثِيرَةٍ كَانَ يَشْهَدُ لَهُمْ وَيَعْظُمُهُمْ قَائِلاً: «اخْلُصُوا مِنْ هَذَا النِّجْلِ المُلْتَوِي». فَقَبِلُوا كَلَامَهُ بِفَرَحٍ، وَاعْتَمَدُوا، وَأَنْضَمَّ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافِ نَفْسٍ (أعمالِ الرسلِ 2: 37-41).

تصفُ عبارةُ نُخِسُوا فِي قُلُوبِهِمْ ما أطلقنا عليه "التبكي"، والذي أسفرَ عن خلاصِ 3000 نفسٍ في ذلك اليوم.

حينَ دعا بطرسُ الجمعَ إلى أن يتوبوا ويعتمدوا، أكدَّ لنا ما ذكرناه عن التبكيِ الذي للخلاص. فمن الممكنِ تماماً أن بعضَ الذين سمعوا كلماتِ بطرسَ قد تمَّ تبكيُّهم بشكلٍ عامٍ، لكنَّ ليسَ كعملٍ خلاصٍ من الروح، وبالتالي رَفَضُوا أن يتوبوا ويخلصوا. لكن من كانتِ الدعوةُ فعالةً فيهم اُخْتَبَرُوا تبكيًّا للخلاص. ولهذا أَقْرُوا بِخَطَايَاهُمْ وَعَاتَرَفُوا بِهَا، وَحَزِنُوا عَلَيْهَا بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ، وَدَفَعُوا إِلَى التَّوْبَةِ وَالْمَعْمُودِيَّةِ.

سَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَى إِنَّ التَّبَكُّيْتَ وَالتَّوْبَةَ كَانَا عَمَلَيْنِ أَجْزَاهُمَا الرُّوحُ مِنْ خِلَالِ رُدِّ فِعْلِ الكَنِيسَةِ
تُجَاهَ تَجْدِيدِ كَرْنِيلْيُوسِ الأُمَمِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ. فَقَبْلَ تَجْدِيدِ كَرْنِيلْيُوسِ، كَانَتْ الكَنِيسَةُ مُكَوَّنَةً بِالأَكْمَالِ مِنْ
يَهُودٍ. ولهذا، في سفرِ أعمالِ الرسلِ 10: 44، 45، أُصِيبَ المؤمنون اليهودُ بالدهشة حين انسكب
الروحُ القدسُ على كَرْنِيلْيُوسِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ. لكن حينَ وردتهم الأخبارُ عن كَرْنِيلْيُوسِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، مَجَدُّوا
اللهُ لأجلِ خلاصِ الأُمَمِ. استمعُ إلى ما قالته الكنيسةُ في سفرِ أعمالِ الرسلِ 11: 18:

إِذَا أَعْطَى اللهُ الأُمَّمَ أَيْضًا التَّوْبَةَ لِحَيَاةٍ! (أعمالِ الرسلِ 11: 18).

وبنقلِ لوقا لهذه الكلماتِ في تأييدِ منه لها، أقرَّ بأن الكنيسةَ كانت على حقٍ - فإن التَّبَكُّيْتَ
والتَّوْبَةَ هما جزءٌ من عطيةِ الروحِ القدسِ.
يمكنُ وصفُ التَّبَكُّيْتَ الذي للخلاصِ بطرقٍ متنوعة. لكن لأغراضنا في هذا الدرس، سنتناولُ
أربعةَ عناصرٍ شائعة. أولاً، يُنشئُ فينا تَبَكُّيْتُ الروحِ القدسِ وعياً بشدةٍ وكثرةٍ خطايانا.

شدة وكثرة الخطية

لا يخطئُ البشرُ الساقطون - بل وحتى المفديون - فقط في بعضِ الأحيان. بل إننا نُخطئُ
طوالَ الوقت. فإننا نفكرُ أفكارًا خاطئة؛ ونتقوهُ بكلماتٍ خاطئة، ونعملُ أمورًا خاطئة. كما نقرأ في سفرِ
الجامعةِ 7: 20:

لأنَّهُ لَا إِنْسَانٌ صَدِيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْملُ صَلاًحًا وَلَا يُخطئُ (الجامعة 7: 20).

وكما قالَ الرسولُ يوحنا في رسالةِ 1 يوحنا 1: 8:

إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الحَقُّ فِيْنَا (1 يوحنا 1: 8).

نجدُ أفكارًا مماثلةً لهذا في سفرِ التكوينِ 8: 21، ورسالةِ رومية 3: 23، ورسالةِ يعقوب 3: 2، وفي مواضعٍ أخرى كثيرة.

والأسوأ من هذا أننا لسنا فقط نُخطئُ جميعاً. بل إننا نُخطئُ جميعاً بكثرة. في المزمور 40: 12، كتب داودُ إن خطاياه كثرت أكثر من شعرِ رأسه. وهو كان رجلاً حسب قلبِ الله! فكم وكم إذن تكثُرُ خطايا غيرِ المؤمنين. وبسببِ هذا، يُعدُّ جزءاً من تبيكيتِ الروح القدس للخلاصِ هو أن يجعلنا نعي كم نحنُ بالحقيقةِ خطاءً. فهو يُظهر لنا مدى سوءِ ارتكابنا للخطية، وتعدُّ وتكرارِ ممارستنا للخطية.

من المذهل أننا منذ البداية من تكوين 6: 5، نقرأ أن كل تصورات أفكارِ قلوبنا - "القلب" الذي هو جوهر الشخصية - "إنما هو شريرٌ كل يوم". يعني هذا في حقيقة الأمر أننا نحن البشر مُستعبدون لشهوةِ أنانيّةٍ إلى النجاح، والإنجاز، والامتلاك، ويشوه هذا كل ما نفعله. لن تتمكن من فهم السلوك البشري إن افترضت أن البشر صالحون بالطبيعة. بل في الحقيقة، حين تنظر إلى تاريخ الجنس البشري، تصيرُ مُجبراً على قول: لا، لسنا بالطبيعةِ صالحين؛ بل نحنُ بالطبيعةِ مُتمركزون حول أنفسنا مُتمركزاً شريراً.

— د. جون أوزوالد

الجانب الثاني الشائع في تبيكيتِ الروح للخلاص هو أنه يجعلنا أكثر حساسية تجاه بشاعة الخطية.

بشاعة الخطية

حين يبكتنا الروح القدس على الخطية، فهو يُظهر لنا أن خطيتنا ليست مجرد سهو أو غفلة، أو خطأ تقني. بل هي بغيضة، ومقززة، فهي فساد رديء، ينخر في أجسادنا ونفوسنا. وهي شديدة البشاعة حتى أنها استلزمت موت الإبن الوحيد لله كي يُخلصنا منها.

في حديث إشعياء النبي عن خطية إسرائيل في سفر إشعياء 64: 6، قال إن الشعب صار كنجس. وحتى تلك الأعمال التي ظنوها بارة لم تكن سوى ثوب عده. ونتيجة لخطايا الشعب، ذبلوا. كان أيضاً توبيخ يسوع للكتبة والفريسيين مماثلاً لهذا. ففي إنجيل متى 23: 27، شبههم بقبور مبيضة من الخارج ولكنها مملوءة عظام أموات وكل نجاسة.

وفي رسالة رومية 7، ساعدنا بولس على أن ندرك كيف يمكن لبشاعة الخطية أن تؤدي إلى توبتنا وخلصنا. ففي سياق ذلك الأصحاح، علّم بأن وصية الله المقدسة، والعدالة، والصالحية تحفز الخطية في غير المؤمنين. ولكنها تفعل ذلك بطريقة تجعل الروح القدس يستخدمها ليكشف مدى القبح الحقيقي للخطية. في رسالة رومية 7: 13، قال بولس:

لِكَيْ تَظْهَرَ خَطِيئَةٌ مُنْشَأَةً لِي بِالصَّالِحِ مَوْتًا، لِكَيْ تَصِيرَ الْخَطِيئَةُ خَاطِئَةً جِدًّا
بِالْوَصِيَّةِ (رومية 7: 13).

هنا قال بولس إن "الصالح" و"الوصية" - وكلاهما يشيران إلى الناموس - قد أظهرنا أن الخطية خاطئة.

من نواحٍ كثيرة، يشعر غير المجدّدين بارتياح تجاه الخطية. فإننا نميلُ إلى اعتبار أنفسنا صالحين بوجهٍ عام، ونخفّف من وطأة سقطاتنا وإخفاقاتنا الأدبية. وهناك عدّة أسباب لهذا. فالخطية مألوفةٌ لدينا، وبالتالي فإننا راضون وقانعون بها. كما تُبرّر لنا الخطية أخطاءنا، وبالتالي تجعلنا نشعر بالرضا عن أنفسنا. كذلك تعرض الخطية علينا تحقيق رغباتنا، وبالتالي فهي جذّابة. لكنّ السبب الرئيسي لقبولنا للخطية هو أننا نحنُ أنفسنا خطاة. فإننا لسنا نبغضُ أنفسنا إطلاقاً، بل نميلُ إلى جعل أنفسنا مقياساً نحكمُ به على باقي العالم. كما أننا لا نرى الأشياء كما يراها الله، ولسنا نتفقُ مع مبادئه الأخلاقية. وبالتالي، فإن جزءاً من دور الروح القدس هو أن يجعل البشر الساقطين يرون ما يراه الله. في التغيير، يفتح الروحُ أعيننا لنرى الخطية كما يراها الله - كإفسادٍ مريعٍ لما هو حقيقيٌّ، ورائعٌ، وصالحٌ.

الجانب الثالث من تكبّيت الروح القدس للخلاص هو أنه ينبهنا إلى إهانة الخطية لله.

إهانة الخطية

فَفِي ظِلِّ تَبْكِيَتِ الرُّوحِ الْقُدْسِ لِلخَّلَاصِ، يُدْرِكُ الخَطَاءُ أَنَّ خَطَايَاهُمْ تَهِينُ قَدَاسَةَ اللَّهِ، وَتَنْتَهِكُ نَامُوسَهُ الْمُقَدَّسَ، وَتَسْتَحِقُّ بَعْدْلَ عَضْبِهِ. اسْتَمِعْ إِلَى بَعْضِ الْأَمْثَلَةِ عَنْ هَذَا مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فِي سَفَرِ عِزْرَا 9: 6 صلى عزرا قائلاً:

اللَّهُمَّ، إِنِّي أَخْجَلُ وَأَخْزَى مِنْ أَنْ أَرْفَعَ يَا إِلَهِي وَجْهِي نَحْوَكَ، لِأَنَّ ذُنُوبَنَا قَدْ كَثُرَتْ
فَوْقَ رُؤُوسِنَا، وَأَتَامَنَا تَعَاظَمْتَ إِلَى السَّمَاءِ (عزرا 9: 6).

وفي سفرِ إشعياء 59: 12، اعترفَ النبيُّ قائلاً:

لِأَنَّ مَعَاصِينَا كَثُرَتْ أَمَامَكَ، وَخَطَايَانَا تَشْهَدُ عَلَيْنَا، لِأَنَّ مَعَاصِينَا مَعَنَا، وَأَتَامَنَا
نَعْرِفُهَا (إشعياء 59: 12).

وفي سفرِ إرميا 14: 7، صلَّى إرميا قائلاً:

وَإِنْ تَكُنْ أَتَامَنَا تَشْهَدُ عَلَيْنَا يَا رَبُّ... لِأَنَّ مَعَاصِينَا كَثُرَتْ. إِنَّكَ أَخْطَأْنَا (إرميا 14: 7).

هذا هو جانبُ التبكيِّ الذي يجعلنا ندركُ حالتنا الضالَّةَ والمُدانةَ. فنحنُ نكتشفُ حقيقةَ عدلِ
الله، وأن خطايانا قد وَضَعَتْنا في موقفِ المذنبين تُجاهَ هذا العدل، حتى أننا نقفُ مدانين، ومُتَوَقِّعين
غضبه وعقوبته.

الجانبُ الرابعُ الشائعُ من تبكيِّ الروحِ القدسِ للخلاصِ هو أنه يُظهِرُ لنا الحالةَ الميؤوسَ
منها التي تسببها الخطية

الحالة الميؤوس منها التي تسببها الخطية

تضعنا الخطيةُ في موقفِ ميؤوس منه، لأنها تجعلنا عاجزين عن إرضاءِ الله أو نوالِ بركاته.
فبسببِ فسادِ الخطية، لا نستطيعُ فعلَ أيِّ شيءٍ نُرضي به الله، ناهيك عن أن نُخلِّصَ أنفسنا. ولهذا
دعانا بولسٌ "ضعفاءً" في رسالةِ رومية 5: 6.

أَثَّرَ سُقُوطُ الْإِنْسَانِ فِي الْخَطِيئَةِ بِشِدَّةٍ عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى إِرْضَاءِ اللَّهِ. فَقَبْلَ السُّقُوطِ،
كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يَعْمَلُهُ آدَمُ مُرْضِيًا لِلَّهِ، عَدَا الْأَكْلِ مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

لَكُنْ بِمُجَرَّدِ إِزْتِكَابِهِ تِلْكَ الْخَطِيئَةَ، وَبِمُجَرَّدِ تَأَثْرِ قَلْبِنَا، وَفَكْرِنَا، وَنَفْسِنَا، وَكِيَانِنَا كَكُلِّ
بِهَذَا، صَارَ كُلُّ مَا نَعْمَلُهُ الْآنَ خَاطِئًا. وَبِالتَّالِي، لَا تَخْلُو حَتَّى أَعْمَالِ الْبِرِّ - أَوْ تِلْكَ
الَّتِي نُسَمِّيهَا أَعْمَالِ "الْبِرِّ" - الَّتِي نَعْمَلُهَا، مِنْ الْخَطِيئَةِ. وَهَكَذَا، كَانَ السَّقُوطُ كَامِلًا.
وَدُونَ عَمَلِ نِعْمَةِ الْمَسِيحِ، لَا شَيْءَ مِمَّا نَعْمَلُهُ سَيَرْضِي إِلَهَنَا وَيَكْرِمُهُ عَلَى
الإِطْلَاقِ.

— د. جيف لومان

بِسَبَبِ هَذَا الْحَالِ المِئُوسِ مِنْهُ الَّذِي وَضَعْنَا فِيهِ الْخَطِيئَةَ، صِرْنَا نَتَّكِلُ انْتِكَالًا كَامِلًا عَلَى
نِعْمَةِ اللَّهِ لِأَجْلِ الْعُفْرَانِ وَالْخَلَاصِ. وَلِهَذَا أَصْرَ كُتَابِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ عَلَى أَنَّ الْخَلَاصَ هُوَ بِالنِّعْمَةِ،
وَلَيْسَ بِالْأَعْمَالِ. كَمَا كَتَبَ بُولَسُ فِي رِسَالَةِ أَفَسَسَ 2: 8-9:

لَأَنْكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. لَيْسَ مِنْ
أَعْمَالِ كَيْلًا يَفْتَخِرُ أَحَدٌ (أَفَسَسَ 2: 8-9).

وَإِنَّ تَبَكُّيْتَ الرُّوحِ الْقُدْسِ هُوَ الَّذِي يَقُودُنَا إِلَى هَذَا الْفَهْمِ. فَهُوَ يَجْعَلُنَا نِيَّاسُ مِنْ طَلَبِ الْخَلَاصِ
مِنْ خِلَالِ اسْتِحْقَاقِنَا الشَّخْصِي، وَيَجْعَلُنَا نُدْرِكُ عَجْرَتَنَا مِنْ دُونَ رَحْمَةِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ. وَنَتَّيَجَةُ لِهَذَا، يَدْفَعُنَا
إِلَى النُّوبَةِ، وَإِلَى التَّصَدِيقِ بِإِيمَانٍ فِي عُفْرَانِ اللَّهِ لِخَطَايَانَا وَقَبُولُهُ لَنَا أَبْنَاءَ أَحِبَّاءَ فِي الْمَسِيحِ.
بعد أن تناولنا التجديد من حيث الولادة الجديدة التي يجريها الروح القدس لأرواحنا وتبكيته لنا
على خطايانا، لنتناول الآن تبريره لنا.

التبرير

في اللاهوت البروتستانتي، يشير اللفظ التقني "التبرير" إلى "التصريح القانوني الذي يبرئ
الخطي من ذنب خطيته، ويحتسب له بر المسيح." تأتي كلمة "تبرير"، والفاعل "يبرر" المتصل بها،
وأيضا الكلمات "بار"، و"بر"، من حصيلة كلمات متصلة بالفعل اليوناني ديكيانو (δικαίω). في كل
العهد الجديد، تشير هذه الكلمات باستمرار إلى صفح الله عن الخطاة والتصريح بكونهم أبرارًا في

نظره. نرى هذا في رسالة رومية 3: 30، 4: 5؛ 5: 1، 9؛ وفي رسالة 1 كورنثوس 6: 11؛ ورسالة غلاطية 3: 8، 11؛ وفي الكثير من المواضع الأخرى. علاوةً على ذلك، يعلم العهد الجديد باستمرار بأن الخطاة يتبررون، أو يُصرَّحُ بكونهم أبرارًا، بواسطة الإيمان، وعلى أساس ذبيحة المسيح الكفارية نيابةً عنا. وكمثالٍ على ذلك، كتب بولس في رسالة رومية 3: 22-24 بأن:

بِرُّ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ... مُتَبَرِّرِينَ
مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ (رومية 3: 22-24).

في علم اللاهوت النظامي، نفكرُ بوجهٍ عامٍ في التبرير من منطلق عمل المسيح. ففي النهاية، يُشكِّلُ الموت الكفاري للمسيح الأساس القانوني لغفران خطايانا. كما تَمُدُّنا قيامته بالمكانة البارة والحياة الجديدة التي ننالها بعد غفران خطايانا. لكن يلعبُ الروح القدس أيضًا دورًا هامًا في تبريرنا. كان عملُ المسيح حدثًا تاريخيًا - وقع مرةً واحدةً وإلى الأبد. لكن يحتاجُ الخطاة إلى التبرير في كل مكان عبر التاريخ - قبل زمن المسيح، وفي أثنائه، وبعده. يحلُّ الروح القدس هذه المشكلة بتطبيقه فوائد ومزايا التبرير المرتبط بعمل المسيح على المؤمنين في كل زمان. استمع إلى ما قاله بولس في رسالة 1 كورنثوس 6: 11:

بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ الْإِلَهِنَا (1 كورنثوس 6: 11).

أكد بولس على كوننا نتبررُ باسم يسوع، أي يُصرَّحُ بكوننا أبرارًا بناءً على سلطانه وعمله الخلاصي. لكنه قال أيضًا إننا نتبررُ في الروح أو بالروح، لأنه هو من يطبِّقُ التبرير علينا. نرى شيئاً مماثلاً لهذا في رسالة رومية 14: 17، حيث قال بولس:

لَأَنَّ ... مَلَكَوْتُ اللَّهِ ... بِرِّ وَسَلَامٍ وَفَرَحٍ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ (رومية 14: 17).

إن برنا، أو تبريرنا، مبنيٌّ على كفارة المسيح نيابةً عنا. لكننا نختبره في الروح القدس لأن الروح هو الأقنوم الإلهي الذي يطبِّقه علينا.

في رسالة بولس إلى تيطس، رَبَطَ بولسُ تَطْبِيقَ الرُّوحِ الْقُدْسِ لِلتَّبْرِيرِ عَلَيْنَا بِوِلَادَتِنَا الْجَدِيدَةِ. فَقَالَ إِنَّ تَبْرِيرَنَا لَمْ يَكُنْ أَسَاسَهُ بَرُّنَا، بَلْ بَرُّ الْمَسِيحِ. وَأَشَارَ إِلَى تَطْبِيقِ الرُّوحِ الْقُدْسِ لِبَرِّ الْمَسِيحِ عَلَيْنَا كَجُزٍّ مِنْ عَمَلٍ تَجْدِيدِهِ لَنَا، تَزَامُنًا مَعَ وِلَادَتِنَا الْجَدِيدَةِ. نَرَى هَذِهِ الْفِكْرَةَ فِي رِسَالَةِ تَيْطُسَ 3: 5-7، حَيْثُ كَتَبَ بولسُ:

لَا بِأَعْمَالٍ فِي بَرِّ عَمَلِنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ - خَلَّصَنَا [الله] بِغُسْلِ الْمِيلَادِ
الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدْسِ ... حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا بِنِعْمَتِهِ، نَصِيرُ وَرَثَةً حَسَبَ رَجَاءِ
الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ (تَيْطُسَ 3: 5-7).

ذَكَرَ بولسُ أَوْلًا أَنَّنَا "خَلَّصْنَا ... بِالرُّوحِ الْقُدْسِ". وَبِالتَّالِي، حِينَ قَالَ إِنَّنَا تَبَرَّرْنَا، كَانَ يَقْصِدُ
أَنَّ عَمَلَ الرُّوحِ الْخَلَّاصِيَّ يَشْمَلُ التَّبْرِيرَ.
عَادَةً مَا يَصِفُ عُلَمَاءُ الْلاهوتِ التَّبْرِيرَ مِنْ حَيْثُ عُنَاوَرِهِ السَّلْبِيَّةِ وَالْإِيجَابِيَّةِ. مِنْ الْجَانِبِ
السَّلْبِيِّ، يُلْغِي التَّبْرِيرَ، أَوْ يَبْطِلُ، إِثْمَنَا، بِغَفْرَانِ خَطَايَانَا، بِحَيْثُ لَمْ نَعُدْ تَحْتَ دِينُونَةِ اللهِ. وَيَرُدُّ ذَكَرُ
اشْتِرَاكِ الرُّوحِ الْقُدْسِ فِي غَفْرَانِ خَطَايَانَا، كَمَا قَرَأْنَا سَابِقًا، فِي رِسَالَةِ 1 كورنثوس 6: 11، وَرِسَالَةِ
تَيْطُسَ 3: 5. يَشِيرُ كِلَا النِّصْبَيْنِ إِلَى "غُسْلِ" الرُّوحِ لَنَا لِنُطَهِّرِنَا مِنَ الْخَطِيئَةِ.
وَمِنَ الْجَانِبِ الْإِيجَابِيِّ، يُصَرِّحُ التَّبْرِيرُ بِكُونِنَا أَبْرَارًا فِي نَظْرِ اللهِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ لَنَا الْحَقُّ فِي
مِيرَاثِ أَبَدِيٍّ، بِالإِضَافَةِ إِلَى جَمِيعِ الْمَزَايَا الْمُرْتَبِطَةِ بِهِ. اسْتَمَعَ إِلَى مَا كَتَبَهُ بولسُ فِي رِسَالَةِ أفسسَ 1:
13-14:

الَّذِي فِيهِ [أَي الْمَسِيحِ] أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمُوَعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ
عَرْبُونُ مِيرَاثِنَا (أفسسَ 1: 13-14).

كَانَ الْمِيرَاثُ الَّذِي يَقْصِدُهُ بولسُ يَشْمَلُ جَمِيعَ بَرَكَاتِ الْخِلَاصِ، وَالتِّي كَانَ قَدْ سَرَدَ الْكَثِيرَ
مِنْهَا بِالْفِعْلِ فِي رِسَالَةِ أفسسَ 1: 4-12. فِي تِلْكَ الْأَعْدَادِ، ذَكَرَ بولسُ أَشْيَاءَ مِثْلَ الْقِدَاسَةِ، وَالتَّبْنِي،
وَالْفِدَاءِ، وَالْغَفْرَانِ، وَغَنَى نِعْمَةِ اللهِ، وَجَمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ فِي الْمَسِيحِ. تُعَدُّ كُلُّ
بَرَكَاتٍ مِنْ هَذِهِ الْبَرَكَاتِ جُزْءًا مِنْ مِيرَاثِنَا فِي الْمَسِيحِ. وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مَضمُونَةٌ لَنَا بِالرُّوحِ الْقُدْسِ.

تحدثنا حتى الآن عن التجديد بالنظر إلى الولادة الجديدة التي يجريها الروح القدس فينا، وتبكيته لنا على الخطية، وتبريره لنا. والآن، لنتجه إلى الجوانب الأولى من عمله في التقديس.

التقديس

بكلمات بسيطة، التقديس هو "جعل الأشخاص والأشياء مقدسين". يشتمل تقديس الروح على فرز الأشخاص والأشياء، وتخصيصهم لاستخدام الله؛ وعلى تطهيرهم، وجعلهم أهلاً للاقتراب من مجد الله غير المحتجب.

حِينَ يَصِفُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ اللَّهِ بِكَوْنِهِ قُدُوسًا، فَهُوَ فِعْلِيًّا يُشِيرُ إِلَى مَفْهُومٍ يَعْنِي فِي الْأَسَاسِ تَمَيُّزَ اللَّهِ وَإِنْفِصَالَهُ. وَبِالتَّالِي، تُرَكِّزُ قَدَاسَةَ اللَّهِ عَلَى حَقِيقَةِ لَاهُوتِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ مُتَفَرِّدًا فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَخِصَائِصِهِ عَنِ النَّبَشْرِ، وَالْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي خَلَقَهَا. وَهَكَذَا بِطَرِيقَةٍ مُمَاتِلَةٍ، حِينَ نَتَحَدَّثُ عَنِ قَدَاسَةِ الْأَشْخَاصِ، فَإِنَّا نَشِيرُ إِلَى أَنَّا نَصِيرُونَ مُنْفَصِلِينَ عَنِ الْخَطِيئَةِ، لِيَصِيرُوا أَكْثَرَ مُشَابِهَةً لِلَّهِ الَّذِي يَتَمَنُّونَ أَنْ يَخْدُمُوهُ.

— د. سايمون فيبيرت

يستخدم الكتاب المقدس كلمة "التقديس" بطرق مختلفة. وبالتالي، يُميِّز علماء اللاهوت بين أنواع أو جوانب متعددة من التقديس. يُطلق أحياناً على نوع التقديس الذي يطبِّقه الروح القدس علينا في التجديد اسم "التقديس التام"، لأنه حدث يقع مرة واحدة، وليس عملية مستمرة. فعند تجديدنا، يُفَرِّزُنا الروح القدس ويطهِّرنا من خلال اتحادنا بالمسيح. ولأن يسوع نفسه مقدس بالكامل – أي ظاهر تماماً وبلا خطية – فإننا أيضاً نصير مقدسين. استمع إلى ما قاله المسيح ربنا في إنجيل يوحنا 17: 19:

وَلِأَجْلِهِمْ أَقْدَسُ أَنَا ذَاتِي، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ (يوحنا 17: 19).

إن تقديس يسوع لازم لتقديسنا، لأن تقديسنا ينبع من تقديسه. وفي رسالة 1 كورنثوس 1: 30، كتب بولس:

بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ ... صَارَ لَنَا ... قَدَاسَةً (1 كورنثوس 1: 30).

تتناول العديد من نصوص العهد الجديد الأخرى هذه الفكرة، ومنها رسالة 1 كورنثوس 6: 11، ورسالة العبرانيين 10: 10.

من خلال التقديس التام، يصير المسيح ربنا مصدر حياتنا الروحية وقوتنا الآن، ومصدر حياتنا الجسدية في المستقبل في القيامة الأخيرة. نستطيع أن نرى هذا بصورة كثيرة في الكتاب المقدس. على سبيل المثال، في إنجيل يوحنا 15: 1-5، شبه يسوع نفسه بكرمة، والمؤمنين بأغصان الكرم. وكان يقصد بهذا أن اتحادنا الروحي به يجعل حياتنا تفيض فينا. وفي رسالة 1 كورنثوس 6: 15-17، قال بولس إن أجسادنا هي أعضاء المسيح نفسه، وأيضاً إننا واحد معه في الروح. ونجد أفكاراً مماثلة لهذه في الصورة البلاغية للجسد البشري التي استخدمها بولس في مواضع مثل رسالة أفسس 4: 15، 16، حيث قال إن المسيح هو الرأس والمؤمنين هم جسده. تُضفي هذه الجوانب العضوية الحيوية للتقديس تغييراً على ما نعمله، ونفكر فيه، ونشعر به، ونريدُه، ونحبه. فهي تمنحنا حياةً جديدة، وحريةً جديدة، وإمكانيات جديدة. على سبيل المثال، هي تعطينا من طغيان الخطية، وتمكننا من مقاومة الخطية التي دائماً ما تهزم غير المؤمنين. في رسالة رومية 6-8، تحدث بولس بصورة مكثفة عن الحياة الجديدة التي ننالها حين نُقبل إلى الإيمان. وقال إننا نموت عن الخطية وعن سيادتها. ونتيجة لهذا، ننال إمكانيات لمقاومة الخطية ولطاعة الله. انظر كيف وصف بولس هذا التغيير في رسالة رومية 7: 5-6:

لأنه لما كنا في الجسد كانت أهواء الخطايا التي بالناموس تعمل في أعضائنا، لكي نتمر للموت. وأما الآن ... إذ مات الذي كنا مُسكين فيه ... نعبُد بجدّة الروح (رومية 7: 5-6).

وفي رسالة رومية 8: 9، أضاف:

وَأَمَّا أَنْتُمْ، فَلَسْتُمْ تَحْتَ سُلْطَةِ الْجَسَدِ بَلْ تَحْتَ سُلْطَةِ الرُّوحِ، إِذَا كَانَ رُوحُ اللَّهِ سَاكِنًا فِي دَاخِلِكُمْ حَقًّا (رومية 8: 9، ترجمة كتاب الحياة).

في التقديس التام، يخلقنا الروح القدس من جديد على نحو يجعل الخطية عاجزة عن هزيمتنا، بحيث نصير أحراراً لنتغير أكثر فأكثر إلى صورة المسيح. نعرف جميعنا كثيرين ممن يمكنهم الاستفادة من بداية جديدة. فأحياناً نكون قد تصرفنا في علاقة ما بشكل سيء. أو ارتكبنا أخطاءً ضخمة في وظيفة ما. أو ربّما تورطنا في أزمة معينة مع القانون. في الواقع، يُطبّق شيءٌ شبيهٌ بهذا على غير المؤمنين في علاقتهم بالله. فحين ندخل هذا العالم، نكونُ فاسدين بالفعل من جرّاء الخطية، ومُدانين من قِبَلِ الله. لكن يقدم لنا التجديدُ بدايةً جديدة. فإنّه لوقتٌ رائعٌ الذي فيه يمنحنا الروح القدس حياةً جديدة، وانسحاقاً جديداً على خطايانا، ومكانةً جديدةً أمامَ الله، وقلباً جديداً لنطيعه بفرح. وكلُّ مؤمنٍ مُلزمٌ أن يشكرَ على هذه البداية الجديدة، وأن يسلكَ بما يتناسبُ مع الحياة الجديدة والدعوة التي دُعينا بها. بعد أن استعرضنا عملَ الروح القدس في التجديد، لنتجه الآن إلى دوره المستمرّ طوال حياتنا المسيحية الشخصية.

الحياة المسيحية

كَمَا رَأَيْنَا لَتَوْنًا، تُوجَدُ جَوَانِبُ عَدِيدَةٍ لِعَمَلِ الرُّوحِ الْقُدْسِ فِي الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَعْمَلُهَا سِوَاهُ فِي بَدَايَةِ خَلَاصِنَا. وَلَا حَاجَةَ قَطُّ لِتَكَرَّرِ هَذِهِ الْجَوَانِبِ. فَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُجْرِيَ الْوِلَادَةَ الْجَدِيدَةَ لِأَرْوَاحِنَا سِوَى مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ فَقَط. وَبِالرَّغْمِ مِنْ تَبْكِيَتِهِ الْمُسْتَمِرِّ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْخَطِيئَةِ، لَكِنَّهُ فَقَطُّ فِي أَثْنَاءِ تَجْدِيدِنَا يَفْعَلُ هَذَا عَلَى نَحْوِ يَدْفَعُنَا إِلَى قَبُولِ الْمَسِيحِ مُخْلِصًا لَنَا. كَمَا أَنَّهُ لَا يُطَبِّقُ التَّبْرِيرَ عَلَيْنَا سِوَى مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ فَقَط، وَبَعْدَ تَبْرِيرِنَا لَا مَجَالَ قَطُّ لِفُقْدَانِ حَالَةِ الْبِرِّ هَذِهِ. وَيُمْكِنُ قَوْلُ الشَّيْءِ نَفْسَهُ عَن حَيَاتِنَا الْجَدِيدَةِ فِي التَّقْدِيسِ التَّامِّ. لَكِنْ يَظَلُّ الْكَثِيرُ مِنَ الْجَوَانِبِ الْأُخْرَى لِعَمَلِ الرُّوحِ مُسْتَمِرَّةً طَوَالَ حَيَاتِنَا كَمُؤْمِنِينَ.

في هذا الدرس، سنذكرُ أربعةَ جوانبٍ من خلاصنا المستمرّ أو الحياة المسيحية التي تعتمدُ على الروح القدس. أولاً، سنذكرُ سكنى الروح فينا. وثانياً، سنتحدثُ عن الجوانبِ المستمرة من عمله

في التقديس. وثالثاً، سنرى أنه يعمل من خلال شفاعته عنا. ورابعاً، سنسلط الضوء على حفظه لنا ضامناً خلاصنا النهائي. لنتناول أولاً سكناه بداخلنا.

السكنى

يمكن تعريف سكنى الروح القدس كالتالي: "حضوره الخاص بداخل المؤمنين، واتحاده الروحي بهم". إن الروح القدس، مثله في هذا مثل الله، كلي الوجود - فهو حاضر في كل مكان في كل أنحاء الخليقة في الوقت ذاته. لكنه لا يستعلن حضوره بنفس الطريقة في كل مكان وفي كل وقت. وتعدُّ سكناه بداخل المؤمنين واحدةً من أكثر الطرق الشخصية، والحميمية، والقوية التي يستعلن بها حضوره.

أحد أكثر الحقائق المذهلة عن الخلاص هي أن الله نفسه يحيا بداخلنا. فبمجرد تقديس الروح لنا عند تغييرنا، نصيرُ أنيةً جديدةً بحضوره. ولأنه يُحبنا كثيراً، وإذ هو عازمٌ على التأثير في قلوبنا وأذهاننا للأفضل، فهو يحيا بداخلنا ولا يتركنا البتة.

حين ننال الولادة الجديدة بالروح القدس، لا يكتفي الروح بإصلاح أرواحنا، ثم يتركنا لأهوائنا. بل بالأحرى، يصنعُ فينا منزلاً له. ونرى هذا في مواضع مثل رسالة 1 كورنثوس 6: 19، ورسالة 2 تيموثاوس 1: 14، ورسالة يعقوب 4: 5. إن حضوره الساكن فينا هو الذي يُعطي حقاً حياةً لأرواحنا. استمع إلى ما قاله بولس في رسالة رومية 8: 9-11:

وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ. وَإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ، فَالْجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الْخَطِيئَةِ، وَأَمَّا الرُّوحُ فَحَيَاةٌ بِسَبَبِ الْبِرِّ. وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمْ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ (رومية 8: 9-11).

هنا، أشار بولس إلى سُكنى المسيح فينا بروحه القدوس. وتمنحنا سُكنى الروح هذه الحياة الروحية الآن، والقيامة بالجسد في المستقبل.

يتحدث الكتاب المقدس أيضاً عن خدمة يؤديها الروح القدس، متصلة اتصالاً وثيقاً بسُكنائه، ويُطلق عليها العهد الجديد الامتلاء بالروح القدس. تفهّم الطوائف المختلفة في الكنيسة الامتلاء

بالروح بطرقٍ مختلفة. لكن يمكن أن نتفق جميعًا على أمرين على الأقل. أولاً، دائماً ما يسكنُ الروحُ القدسُ في المؤمنين الحقيقيين. وثانياً، يختلفُ هذا الملاء، أو مستوى تأثيره في حياتنا من شخصٍ لآخر. فمن أنٍ لآخر يملأنا الروحُ ويؤثرُ فينا بأكثرِ قوةٍ من أحيانٍ أخرى. ولهذا لا يوصينا الكتابُ المقدسُ على الإطلاقِ بأن نُسكَنَ بروحِ الله، بل يوصينا بأن نمتلئَ بالروحِ القدس. كما قال الرسولُ بولسُ في رسالةِ أفسسَ 5: 18:

وَلَا تَسْكُرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلَاعَةُ، بَلِ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ (أفسس 5: 18).

حينَ يملأنا الروحُ القدسُ، فهو يمارسُ فينا تأثيراً شديداً، وأحياناً غامراً. حيثُ تفيضُ قلوبنا بالفرح، والشكر، والمحبة تجاه المؤمنين الآخرين. أو كما قال بولسُ في رسالةِ غلاطية 5: 22، 23، نرى ثمرَ الروحِ بقدرٍ كبير.

من خلالِ الامتلاءِ بالروحِ القدسِ وسكناه، يتشددُ المؤمنون كي يعملوا أعمالاً تُرضي الله، كما علم بولسُ في رسالةِ رومية 8: 5-9. كما نتمكنُ أيضاً من العبادةِ بطريقةٍ صحيحة، والاقترابِ إلى الله في خضوعٍ حقيقي، واللجوءِ إليه في صدقٍ وإخلاص. كما قال يسوعُ في إنجيلِ يوحنا 4: 24:

اللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا (يوحنا 4: 24).

وكما قال بولسُ في رسالةِ فيلبي 3: 3:

نَحْنُ ... نَعْبُدُ اللَّهَ بِالرُّوحِ (فيلبي 3: 3).

بالطبع يملكُ غيرُ المؤمنين القدرةَ على عبادةِ الله ظاهرياً. فهم يستطيعون تلاوةَ الصلوات، وتقديمِ العطايا، والتسبيح، والوعظ، والتعليم. لكنهم لا يستطيعون فعلَ هذا على نحوٍ يحظى بقبولٍ لدى الله. فإن رياءهم، وخطيتهم، وموتهم الروحي يَمْنَعُ عبادتهم من إرضاءِ الله. لكن يتمكّن المؤمنون، بالروحِ الساكنِ فيهم، من الاقترابِ إلى الله من خلالِ الإرشادِ الداخلي والتحفيزِ الذي يُجْريه الروح، وبطرقٍ تُقَدَّرُ وتكرَّمُ أقانيمِ الله، وأعماله، وصفاته جيداً.

علينا أن نشير الآن إلى أن المؤمنين أحياناً ما يعتنقون الفكرة الخاطئة بأن الروح القدس لم يبدأ في سكنى المؤمنين إلا في زمن العهد الجديد. ولكن المؤمنين في العهد القديم قطعاً كانوا قد نالوا الولادة الجديدة. ولم يكن هذا ممكناً حقاً إلا بسكنى الروح القدس فيهم هم أيضاً. كذلك قد كان الكثير من الأمور الأخرى التي تنطبق على مؤمني العهد القديم أيضاً تعتمد على سكنى الروح القدس. فقد كان لديهم إيمان. وعملوا أعمالاً مقبولة لدى الله. وقدموا عبادة صحيحة. وظهر ثمر الروح في حياتهم. بالطبع توجد في العهد الجديد جوانب أكثر ثراءً من خدمة الروح القدس. لكن لظالما كان سكناه في المؤمنين جزءاً من مهمته في كل عصر.

بالإضافة إلى ذلك، تمنح سكنى الروح القدس المؤمنين بصيرةً وفهماً لإعلان الله. كما كتب بولس في رسالة 1 كورنثوس 2: 12-16:

بَلِ [أخذنا] الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللَّهِ، لِنَعْرِفَ الْأَشْيَاءَ الْمُوهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللَّهِ ... وَلَكِنَّ
الْإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لَا يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللَّهِ لِأَنَّهُ ... لَا يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ ... وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَا
فِكْرُ الْمَسِيحِ (1 كورنثوس 2: 12-16).

وكما تحدثنا في درس سابق، اعتاد علماء اللاهوت تحديد نوعين من الفهم الروحي، متصليين بالروح القدس. الاستتارة، وهي:

موهبة إلهية للمعرفة أو الفهم، وهي في الأساس إدراكية.

والإرشاد الداخلي، وهو:

موهبة إلهية للمعرفة أو الفهم، وهي في الأساس عاطفية أو حدسية.

في كلتا الحالتين، سكنى الروح هي التي تعطينا هذا الفهم لإعلان الله ومقاصده من نحونا.

يُعْطَى الرُّوحُ الْقُدْسُ لِلْمُؤْمِنِينَ كَمَوْرِدٍ، وَقُوَّةٍ مِنَ اللَّهِ لِحَيَاتِهِمْ، وَحِكْمَةٍ، وَبِاعْتِبَارِهِ
"فِكْرُ اللَّهِ"، وَحُضُورَهُ فِي حَيَاتِهِمْ، لِأَنَّ الرُّوحَ الْقُدْسَ، بِالتَّأَكِيدِ، هُوَ اللَّهُ ... قَالَ

يَسُوعُ فِي خِتَامِ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا إِنَّهُ حِينَ يَأْتِي الرُّوحُ سَيَبْكُثُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى
بِرٍّ، وَإِنَّهُ سَيُرْسِدُ الرِّسْلَ، وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ، إِلَى كُلِّ الْحَقِّ. وَبِالْتَّالِي، يُؤَدِّي
الرُّوحُ دَوْرَ الرَّفِيقِ الْمُرْسَلِ إِلَيْنَا مِنَ اللَّهِ لِكَيْ يُرْسِدَنَا. وَهَكَذَا، نَخْتِيرُ جَمِيعَنَا أَوْقَاتًا
نَشْعُرُ فِيهَا وَكَأَنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ إِلَيْنَا، وَيَطْلُبُ مِنَّا أَنْ نَفْعَلَ هَذَا الْأَمْرَ أَوْ ذَلِكَ، أَوْ أَلَّا
نَفْعَلَ هَذَا أَوْ ذَلِكَ. هَذِهِ عِلَاقَةٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَشَخْصِيَّةٌ، يَتَمَتَّعُ بِهَا الْمُؤْمِنُ مَعَ اللَّهِ.

— د. آلان هولتبرج

بعد أن تحدثنا عن سكنى الروح في سياق حياتنا المسيحية، لنتناول عمل التقديس المستمر
للروح.

التقديس

كما ذكرنا سابقاً، نستطيع الحديث عن التقديس بطرقٍ مختلفة، منها التقديس التام الذي نناله
عند تجديدينا. لكن يوجد جانبٌ أو نوعٌ آخرٌ من التقديس، سنشيرُ إليه لأغراضنا في هذا الدرس باسم
"التقديس المستمر". فإننا نخضع لهذا النوع من التقديس طوال حياتنا، بسبب خطايانا المستمرة التي
تَسْتَلْزِمُ الْغَفْرَانَ وَالتَّطْهِيرَ الْمُسْتَمِرَّ.

يخطئُ كلُّ مؤمن. بل في حقيقة الأمر، نحن نرتكبُ الخطية كلَّ يوم. وإن كنتَ تظنُّ أنك لا
تخطئ، فإنك إذا لم تفكرْ بجديَّةٍ كافيةٍ فيما يطلبُ منك اللهُ أن تؤمنَ به، وتقولَه، وتفعله، بل وأن
تكونه. لكنَّ الخبرَ السارَ هو أن الروحَ القدس، كلما أخطأنا، يكونُ مستعداً لتطبيقِ الغفرانِ علينا،
وتطهيرنا من آثارِ إثمِ الخطية. ولا يعني هذا أننا لن نخطئَ ثانيةً، أو أننا سنُفْلِتُ من العواقبِ
الأرضيةِ لخطايانا. لكنَّه يعني أن الله لا يزالُ يُحِبُّنا، ويظلُّ يعملُ عملهَ الخلاصيِّ الذي ابتدأه أولاً في
تجديدينا.

حين ننالُ الولادةَ الجديدةَ بالروحِ القدس، لا يَمْحُو الرُّوحُ فسادَ الخطيةِ وتأثيرها من حياتنا
تماماً. بل كما أوضحَ بولسُ في رسالةِ رومية 7: 14-25، إن الخطيةَ الساكنةَ فينا لا تزالُ تقاومُ
ضدَّ الروحِ القدسِ الساكنِ فينا. يصفُ الكتابُ المقدسُ هذا الصراعَ بمفرداتِ الحربِ في مواضعٍ مثلِ
رسالةِ رومية 7: 23، ورسالةِ غلاطية 5: 17، ورسالةِ 1 بطرس 2: 11. لكنَّ الخبرَ السارَ هو أن

الروح يسكنُ فينا ويعملُ داخلنا. وبالتالي، بالرغم من استمرارنا في التعثرِ بسببِ تأثيرِ الخطية، لكننا أيضًا نعملُ أعمالًا صالحةً بسببِ تأثيرِ الروح. كما قال بولسُ في رسالةِ فيلبي 2: 13:

لأنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسْرَةِ (فيلبي 2: 13).

أمدنا الله في الروح القدس بالإجابة عن سؤال "لماذا" و "كيف" اللذين يطرحان في أثناء سعينا إلى الطاعة. إن الإجابة عن سؤال "ماذا" - أي "ماذا ينبغي أن نفعل كي نرضي الله؟" - هي في وصايا الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد. لكننا نصارع مع سؤال: "لماذا؟" أي، لماذا ينبغي أن أطيع؟ ما الذي قد يجعلني أريد أن أطيع الله؟ يقول بولس إن الروح القدس هو من يقودنا إلى أن نتأمل في النعمة، وأن نحب المسيح، وهو من يولد فينا الرغبة. لكن حين أريد أن أرضي الله، يواجهني هذا السؤال الآخر، "كيف أقدر أن أفعل هذا؟" لأنني أجد في نفسي ضعفًا. يستعرض بولس هذا بعمق وتفصيل في الأصحاح السابع من رسالة رومية، واصفًا المعضلة، والإحباط الذي يختبره إنسانٌ يعلم أن ناموس الله مستقيم، ويتفق مع كونه صالحًا، لكنه يجد شيئًا آخر يعمل في داخله، فيصاب بالإحباط، عاجزًا عن فعل ما دعاه الله إلى فعله، وما يريده. وفي رومية 8، يجيب بولس عن هذا قائلاً إنه بالرغم من عجز الناموس، إذ لم يستطع سوى فرض الوصايا، دون أن يتمكن من تغيير قلوبنا، أعتقنا الله الآن، بالروح القدس، كيما نتمكن من أن نطيع، بموت المسيح وبقوة الروح، حين نسلك بالروح. فقد تم فينا المطلب البار للناموس لأننا لسنا نسلك حسب الجسد - أي بحسب طبيعتنا البشرية بدون مساعدة - بل بقوة الروح. هذا ما يوجزه بولس في تلك العبارة القصيرة الواردة في فيلبي 2. فإن الله هو العامل فينا "أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة".

— د. دينيس جونسون

يُعدُّ تقديسنا المستمرُّ عمليةً يُطبَّقُ من خلالها الروح القدس باستمرارٍ الغفران والتطهير علينا حين نخطئ، ويُعيدنا باستمرارٍ عن الخطية، موجِّهًا إيانا صوب البر. على نحوٍ مثاليٍّ، ينبغي لهذه

العملية أن تزيد من طاعتنا لله باستمرارٍ طوالَ مسيرة حياتنا. يشير الكتاب المقدس إلى هذا التغيير للأفضل الذي يستمر مدى الحياة باسم "الكمال" في رسالة أفسس 4: 13، ورسالة كولوسي 4: 12، ورسالة العبرانيين 5: 14، والعديد من المواضع الأخرى. كمثالٍ على هذا، نقرأ في رسالة يعقوب 1: 4 الآتي:

وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِينَ وَكَامِلِينَ (يعقوب 1: 4).

من خلال تأثير الروح القدس، تُنتج عملية التكميل هذه نتائج روحية في حياة المؤمنين. في كل الكتاب المقدس، استُخدمت الصورة البلاغية للثمار كثيرًا لوصف هذه النتائج. نرى هذا في إدانة يوحنا المعمدان للفريسيين والصدوقيين في إنجيل متى 3: 8-10. ونجدها أيضًا في تعاليم يسوع عن الطاعة الحقيقية والزائفة في الموعظة على الجبل، في إنجيل متى 7: 16-20. وتعد هذه الصورة جزءًا رئيسيًا من تعاليم يسوع عن الأعمال الصالحة في إنجيل يوحنا 15: 1-16. وكما ذكرنا قبلاً، وصف بولس في رسالة غلاطية 5 ثمارًا محددة يُظهرها الروح في حياة من يسكن فيهم. استمع إلى ما كتبه بولس في رسالة غلاطية 5: 17-25:

**لَأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحَ ضِدَّ الْجَسَدِ ... وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ
فُرْحٌ سَلَامٌ، طَوْلٌ أَنَاةٌ لُطْفٌ صِلَاحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ ... وَلَكِنَّ الَّذِينَ هُمْ
لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ. إِنَّ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ، فَلْنَسَلُكْ
أَيْضًا بِحَسَبِ الرُّوحِ (غلاطية 5: 17-25).**

يشبه حديث بولس عن ثمر الروح في الأصحاح 5 من رسالة غلاطية تعاليمه الأخرى الواردة في رسالة رومية 6-8. ففي كلا الموضعين، قابل بولس بين التأثيرات المختلفة للروح وبين تأثيرات الخطية على رغباتنا. وأوضح أن الوسيلة الوحيدة لطاعة الله من القلب، واستعلان البر، هي أن يسكن فينا الروح القدس.

أحيانًا يساوي المؤمنون بالخطأ بين ثمر الروح والمواهب الروحية. فكما رأينا في درس سابق، يُعطي الروح القدس مواهب مختلفة لكل مؤمن في العهد الجديد. إلا أن ثمر الروح هو حياة من الطاعة يُنشئها الروح في جميع المؤمنين. وبالتالي، ينبغي أن تكون متشابهة نسبيًا في حياتنا جميعًا.

حينَ نفكرُ في عملِ التقدّيسِ المستمرِّ الذي يُجريه الروحُ في المؤمنين، يَلزُمنا أن نذكّرَ أن بعضَ المدارسِ اللاهوتيةِ تشيرُ إلى عمليةِ تسمى "التقدّيسُ التدريجيّ". يشيرُ هذا المصطلحُ إلى فكرةٍ تدرّجنا في القداسة، كي نزدادَ في التقوى طوالَ حياتنا المسيحية. نعم، بالتأكيدِ ينبغي على المؤمنين أن يصيروا تدريجيًّا أكثرَ نُضجًا روحيًّا، وأن يُظهروا المزيدَ والمزيدَ من الثمار. لكنّ قد يُخفِقُ حتى المؤمنون الحقيقيون أنفسهم في النموِّ بهذه الصورة. انظرْ كيف وصفَ بطرسُ هذه الجوانبَ من التقدّيسِ في رسالةِ 2 بطرس 1: 5-9:

وَلِهَذَا عَيْنِهِ - وَأَنْتُمْ بَادِلُونَ كُلَّ اجْتِهَادٍ - قَدِّمُوا فِي إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً، وَفِي الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً، وَفِي الْمَعْرِفَةِ تَعَفُّفًا، وَفِي التَّعَفُّفِ صَبْرًا، وَفِي الصَّبْرِ تَقْوَى، وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةَ أَخَوِيَّةٍ، وَفِي الْمَوَدَّةِ الْأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً. لِأَنَّ هَذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ، تُصَيِّرُكُمْ لَا مُتَكَاسِلِينَ وَلَا غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِأَنَّ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ هَذِهِ ... قَدْ نَسِيَ تَطْهِيرَ خَطَايَاهُ السَّالِفَةِ (2 بطرس 1: 5-9).

تشبهُ قائمةُ بطرسَ من الصفاتِ المقدسةِ كثيرًا قائمةَ بولسَ لثمرِ الروح. وقد ذكرَ بطرسُ بالفعلِ إن هذه الصفاتِ ينبغي أن تكثُرَ في حياتنا. بكلماتٍ أخرى، ينبغي أن تزدادَ تدريجيًّا. لكنه أقرَّ أيضًا بأن المؤمنين أنفسهم، بخطأٍ شخصيٍّ منهم، قد يُعوزهم هذا الثمر.

يُخْبِرُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ بِأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ هُوَ مَنْ يُنْشِئُ فِيْنَا الْإِرَادَةَ وَالْعَمَلَ لِمَسَرَّتِهِ، لَكِنَّا نَقْرَأُ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ - فِي مَوَاضِعٍ مُخْتَلِفَةٍ - أَنَّنا نُوصَى بِبَدْلِ كُلِّ جَهْدٍ. كَمَا نُوصَى بِأَنْ نَجْتَهِدَ فِي تَقْدِيسِنَا. وَبِالتَّالِي نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَى أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يُنْشِئُ فِيْنَا رَغَبَاتٍ بِالإِضَافَةِ إِلَى الإِمْكَانِيَّةِ لِعَمَلِ مَسَرَّةِ اللَّهِ. وَلَكِنْ، عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْتَجِيبَ، وَيُجَاهِدَ، وَيَسْتَخْدِمَ وَسَائِطَ النِّعْمَةِ، وَأَنْ يَظَلَّ دَائِمًا يَقِظًا وَسَاهِرًا، حَتَّى يُقَاوِمَ النَّجْرِبَةَ، وَلِكَيْ يَتِمَكَّنَ مِنْ أَنْ يَنْمُوَ فِي نِعْمَةِ الرَّبِّ.

— د. ديفيد كوريا

بعد أن تحدثنا عن دورِ الروحِ القدسِ في حياتنا المسيحيةِ من حيثِ سُكناهِ فينا وتقديسهِ المستمرِّ لنا، لنتحدثُ الآنَ في إيجازٍ عن شفاعتهِ عنا.

الشفاعة

الشفاعة هي عمل الروح القدس في "التوسلِ أمام الآب نيابةً عن المؤمنين". يشبه هذا ما نعمله حين ندافع عن شخصٍ ما يتعرض للتهديد أو الأذى؛ أو حين نطلب من أحدهم تقديم مساعدةٍ لشخصٍ آخر؛ أو حين نصلي لأجل الشفاء، أو الغفران، أو البركة لشخصٍ ما. استمع إلى وصف بولس لشفاعة الروح في رسالة رومية 8: 26-27:

وَكذالكِ الرُّوحُ أَيضاً يُعِينُ ضَعْفَاتِنَا، لِأَنَّنا لَسْنَا نَعْلَمُ ما نُصَلِّي لِأجلِهِ كما يُنبغي. وَلَكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينا بِأَناتٍ لا يُنطقُ بِها. وَلَكِنَّ الَّذِي يَفحصُ القُلُوبَ يَعْلَمُ ما هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ، لِأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ يَشْفَعُ فِي القَدِيسِينَ (رومية 8: 26-27).

أحياناً حين يتكلم الكتاب المقدس عن علم الله لما في قلوبنا، يحمل هذا في طياته تهديداً بالدينونة. نرى هذا في مواضع مثل سفر إرميا 4: 14، ورسالة 1 كورنثوس 4: 5، ورسالة العبرانيين 4: 12. لكن في حالة المؤمنين، رفع المسيح الدينونة عنا. وبالتالي، حين يفحص الروح قلوبنا، فهذا دائماً ما يكون لفائدتنا. فهو يرى احتياجاتنا التي لا نستطيع التعبير عنها، وينطق بها نيابةً عنا. ويرى تلك الخطية التي حتى لا ندري عنها شيئاً، ويطلب الغفران نيابةً عنا. كما أنه يصلي من أجلنا تحديداً بالطريقة التي ينبغي علينا نحن أن نصلي بها، ولكننا لا نفعل ذلك. وهذه الشفاعة ناجحة على الدوام. لماذا؟ لأن الروح، كما قال بولس، يشفع فينا دائماً بحسب مشيئة الله. ويمكننا أن نضيف إلى هذا أن الآب يُكرم دائماً صلوات الروح لأن الروح نفسه هو الله.

لا يعني هذا خلواً حياتنا من الخطية، والألم، والصعوبات. ففي النهاية، يعلم الروح سبب تعيين الآب لهذه الأمور في حياتنا، وهو لن يشفع فينا لإحباط هذه الخطة. لكن يعلم الروح أيضاً، كما أوضح بولس بعد بضعة أسطر في رسالة رومية 8: 28-30، أن الله يستخدم كل الأمور السيئة التي تحدث في حياتنا لخيرنا. فهو يستخدمها لإتمام تقديسنا، وليأتي بنا إلى ميراثٍ رائع، وأبدٍ في المسيح.

أليست الصلاة شيئاً رائعاً ومدهشاً؟ فإن الله القدير، خالق الكون، الكامل والقدوس، يستمع إلينا، بل ويستجيب لنا بالتدخل في حياتنا. وهو لا يفعل هذا لأنه مجبر، بل لأنه يريد ذلك. فهو

يحبُّ أن يسمعَ تسبيحاتنا وحمدنا. ويغفرُ لنا في سخاءٍ حين نعتزفُ بخطايانا. كما أنه يستجيبُ لطلباتنا باهتمامٍ وحكمة. لكنَّ كلَّ مؤمنٍ يجتازُ بفتراتٍ تزدهمُ فيها قلوبنا وعقولنا تمامًا حتى أننا نعجزُ عن التعبيرِ عن أنفسنا جيدًا في الصلاة. كما يجتازُ كلُّ مؤمنٍ بأوقاتٍ فيها يكونُ قلبه وعقله في شدةِ العنادِ، حتى أنه يرفضُ أن يصليَ كما ينبغي. كذلك يجتازُ كلُّ مؤمنٍ بفتراتٍ فيها يمنعه جهله بالله غير المُدرِّك، وأيضًا جهله بطرقه الغامضة، من الاقترابِ إليه كما يستحق. وبالتالي، أليس معزياً لنا أن نعلم، أنه سواءً كنا في أفضلِ حالاتنا أو في أسوأها، أن الروحَ القدسَ نفسه يصلي نيابةً عنا؟ نتاولنا حتى الآنَ الحياةَ المسيحيةَ بالنظرِ إلى سكنى الروحِ القدسِ فينا، وتقديسه المستمرِ لنا، وشفاعته فينا. لنوجهَ انتباهنا الآنَ إلى عمله المختصِّ بحفظِ المؤمنين حتى خلاصهم النهائي.

الحفظ

الحفظُ هو ما يقومُ به الروحُ القدسُ من "عملٍ مستمرٍ ومترائفٍ به يضمنُ مثابرةَ المؤمنين في الإيمانِ إلى أن يكتملَ خلاصهم". ينبُعُ عملُ الروحِ القدسِ الحافظُ من سكناه، وغرضه أن تظلَّ قلوبنا أمينةً تجاهَ الله. لا يعني هذا أننا لن نتشككَ أو نخطئَ البتة. لكنه يعني أن خلاصنا مضمونٌ، لأن الروحَ يحافظُ على إيمانِ الخلاصِ بداخلنا. استمعَ إلى ما قاله بولسُ في رسالةِ رومية 8: 11-14:

وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمْ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ ... وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمَيِّتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ. لِأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللَّهِ، فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ (رومية 8: 11-14).

علمَ بولسُ بأنه إن كانَ الروحُ القدسُ قد وهبنا الولادةَ الجديدة، وهو يسكنُ فينا، فإذا هو أيضًا يقودنا. وإن كان يقودنا، فإننا إذاً أبناءُ الله بصورةٍ دائمة، وهو سيقمُّ أجسادنا في النهاية في المجد. حينَ نؤمنُ بالمسيح، يصيرُ خلاصنا مضمونًا إلى الأبد. ليس هذا لأن الله وعدنا بأن يخلصنا بغضِّ النظرِ عما نفعله. بل بالأحرى، لأن الروحَ القدسَ يحفظنا. فهو يضمنُ استمرارَ

المؤمنين الحقيقيين في الإيمان بنشاط، وألا يتخلوا البتة عن المسيح نهائياً وبصورة تامة. كما كتب بولس في رسالة فيلبي 1: 6:

أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يُكْمِلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ (فيلبي 1: 6).

نعلم أن الروح قد ابتدأ خلاصنا أثناء تجديدها. وبالتالي، لدينا اليقين بأنه سيُكْمَلُ تطبيقه للخلاص علينا إلى أن نتمجد عند مجيء يسوع ثانية. نجد هذه الفكرة نفسها في مواضع مثل رسالة غلاطية 3: 1-5، ورسالة 1 تسالونيكي 5: 23، 24، ورسالة 1 بطرس 1: 3-5.

مَنْ أَعْظَمَ حَقَائِقِ خَلَاصِنَا هُوَ مَا نُطَلِّقُ عَلَيْهِ "مُتَابِرَةَ الْقَدِيسِينَ" - وَإِنْ كَانَ سَبْرَجَنْ يُحِبُّ أَنْ يُطَلِّقَ عَلَيْهِ أَسْمَ "مُتَابِرَةِ الْمُخْلِصِ"، أَيْ أَنَّ الْمُخْلِصَ قَدْ تَابَرَ نِيَابَةً عَنَّا؛ وَلَإِنَّا فِيهِ، فَإِنَّا آمِنُونَ فِيهِ. لَسْتُ أُحْتَلِفُ مَعَ هَذَا عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَمَعَ ذَلِكَ، هُنَاكَ جَانِبٌ ذَاتِيٌّ مِنَ الْمُتَابِرَةِ، حَيْثُ يَتَدَخَّلُ رُوحُ اللَّهِ وَيَسْتَعِدُّ مَا اعْتَادَ التَّطَهْرِيُّونَ الْبِيبْرِيَتَانِ أَنْ يُطَلِّقُوا عَلَيْهِ "الْوَسَائِطَ الْعَمَلِيَّةَ"، لِكَيْ يَضْمَنَ مُتَابِرَتَنَا بِشَكْلِ إِخْتِبَارِيٍّ. إِذَا، كَيْفَ يَفْعَلُ هَذَا؟ يَقُومُ الرُّوحُ بِهَذَا فِي مَحَبَّةٍ، وَلُطْفٍ، وَهُدُوءٍ، مُسْتَعِدِّمًا دَائِمًا الْكَلِمَةَ لِإِرْشَادِنَا. وَلِهَذَا نَشِيرُ فِي التَّقْلِيدِ الْمُصْلِحِ إِلَى "الْكَلِمَةِ وَالرُّوحِ" - الْكَلِمَةِ وَالرُّوحِ، الْكَلِمَةُ وَالرُّوحُ - اللَّذَيْنِ يَعْمَلَانِ مَعًا فِي تَنَاغُمٍ رَائِعٍ بَيْنَمَا يَقْتَادَانِنَا إِلَى الْغَايَةِ النَّهَائِيَّةِ الَّتِي فِي فِكْرِ اللَّهِ لِخَلَاصِنَا.

— د. داني أكين

الْوَسِيلَةُ الْأُخْرَى الشَّائِعَةُ لِلْغَايَةِ الَّتِي يَتَحَدَّثُ بِهَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنْ حِفْظِ الرُّوحِ الْقُدْسِ لَنَا هِيَ بِاسْتِخْدَامِ لُغَةٍ حَتْمٍ قَانُونِيٍّ. فِي الْعَالَمِ الْقَدِيمِ، كَانَ الْخَتْمُ عَادَةً عِبَارَةً عَنْ خَاتَمٍ أَوْ أَدَاةٍ أُخْرَى يُمَكِّنُ الضَّغْطُ بِهَا دَاخِلَ طَمِيٍّ أَوْ شَمْعٍ رَطْبٍ، أَوْ حَتَّى دَاخِلَ مَادَّةٍ مَعْدِنِيَّةٍ، لِكَيْ تَتْرَكَ بَصْمَةً مَنْظُورَةً وَمَادِيَّةً. كَانَتْ هَذِهِ الْبَصْمَةُ بِمُتَابِرَةِ تَوْقِيعِ، يُوثِّقُ وَيُصَادِقُ عَلَى الْوَثِيقَةِ أَوْ الشَّيْءِ الَّذِي تُوضَعُ عَلَيْهِ. عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، يَذَكِّرُ إِنْجِيلُ مَتَّى 27: 66 أَنَّهُ حِينَ دُفِنَ يَسُوعُ، وَضَعَ الرُّومَانُ خَتْمًا عَلَى الْحَجَرِ، بَحِيثٌ يَتِمَكَّنُونَ مِنْ اِكْتِشَافِ أَيِّ عِبَثٍ يَحْدُثُ بِجَسَدِ يَسُوعَ فِي قَبْرِهِ.

يعملُ الروحُ القدسُ بمثابةِ ختمٍ يُثبتُ ملكيةَ الله، يبيِّنُ أن من له الروحُ ينتمي حقًا إلى الله. ولا أحدٌ يستطيعُ أن يخطِّفه من الله. من بعضِ النواحي، يشبهُ هذا الممارساتِ القديمةَ لامتلاكِ العبيد. على سبيلِ المثال، يصفُ سفرُ الخروجِ 21: 6 ممارسةَ ثقبِ أذنِ العبدِ لتمييزِهِ كعبدٍ مدى الحياة. هكذا أيضًا، يَخْتَمُّ الروحُ القدسُ المؤمنينَ بختمِ ملكيةِ الله. هكذا صاغَ بولسُ الأمرَ في رسالةِ 2 كورنثوس 1: 22:

[الله] خَتَمَنَا أَيْضًا، وَأَعْطَى عَرَبُونَ الرُّوحِ فِي قُلُوبِنَا (2 كورنثوس 1: 22).

حينَ يَخْتَمُنَا اللهُ بالروحِ القدسِ، لا يميزُنَا كملكيةٍ تخصُّه فحسب. بل هو أيضًا يضمنُ أن يأتينا الخلاصُ الذي بدأنا في اختبارِهِ بكلِّ ملئه في النهاية. وعلى خلافِ الأختامِ وعلاماتِ امتلاكِ العبيدِ في القديم، لا يكتفي ختمُ الله بتمييزنا كعبيدٍ، بل أيضًا يميزُنَا كأبناءٍ وورثة. انظر كيف مزجَ بولسُ هذه الأفكارَ معًا في رسالةِ أفسس 1: 13-14:

الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُوسِ، الَّذِي هُوَ عَرَبُونَ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى (أفسس 1: 13-14).

حينَ ننالُ الروحَ القدسَ، ننالُ موعدَ الله الذي يضمنُ لنا لا الاكتمالَ المستقبليَّ لخلاصنا فحسب، بل أيضًا "ميراثنا". ليس الميراثُ شيئًا ينالُه عبدٌ من سيده. بل ما ينالُه ابنٌ من أبيه. سيكونُ ذلك الميراثُ هو خلاصنا الأخيرُ - أي تمجيدنا، الذي سيَطْبِقُه الروحُ القدسُ علينا حينَ يأتي يسوعُ ثانيةً. يشملُ التمجيدُ قيامةَ أجسادنا في حالةٍ عدمِ فسادٍ، وعدمِ موتٍ. وكما رأينا، تحدثَ بولسُ عن هذا في رسالةِ رومية 8: 11-14. لكنه تحدثَ بالمزيدِ من التفصيلِ في كلِّ 15 من رسالةِ 1 كورنثوس. على سبيلِ المثال، في العددِ 37-44، شبَّهَ بولسُ أجسادنا باليزور. وبالتالي، شبَّهَ أجسادنا المقامةَ بالنباتاتِ التي تنمو من تلك البزور. استمعَ إلى ما قاله بولسُ في رسالةِ 1 كورنثوس 15: 42-44:

يُزْرَعُ [الجسد] فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ. يُزْرَعُ جِسْمًا حَيَوَانِيًّا وَيُقَامُ جِسْمًا رُوحَانِيًّا (1 كورنثوس 15: 42-44).

إن أجسادنا القوية والممجدة ستخلق من جديد بالروح القدس بحيث تكون كاملةً أديباً ومادياً. كما ستعجز عن أن تكون في هوانٍ وخطية، وستكون منيعاً ضد المرض والموت. بل في حقيقة الأمر، كما تابع بولس تعليمه في رسالة 1 كورنثوس 15: 48، 49، ستكون أجسادنا المقامة شبيهة تماماً بالجسد الممجد الذي ناله يسوع حين قام من الموت. هكذا صاغ بولس الأمر في رسالة 2 كورنثوس 3: 18:

وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاطِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرَاةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنَهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ (2 كورنثوس 3: 18).

سيكون تمجيدنا هو الحالة النهائية التي سنكون عليها، حين نتحرر تماماً من وجود الخطية، وتأثيرها، ونتأجها في كل من أجسادنا ونفوسنا، وحين ندخل أخيراً إلى البركات المجيدة للسموات الجديدة والأرض الجديدة.

لا بد أن يولد فينا حفظ الروح القدس لنا، والمثابرة التي يُنشئها في حياتنا، يقيناً وسلاماً هائلاً. إن روح الله يسكن فينا، ضامناً أن الخلاص الذي ابتدأنا في اختباره بالفعل لن يزول أبداً. وهو في النهاية سيقادنا إلى بركات أعظم، تشمل تحررنا التام من وجود الخطية وتأثيراتها، وقيامتنا الأخيرة في المجد. إن كنا نؤمن حقاً بالإنجيل، فلا نحتاج أن نخشى البتة من إمكانية أن نفقد خلاصنا. بل في المقابل، نستطيع - بل علينا - أن نتكل على الوعد بأن الروح سيكون أميناً في أن يكمل العمل الذي ابتدأه.

الخاتمة

في درسنا عن الروح القدس في المؤمن، تناولنا التجديد من خلال الحديث عن الولادة الجديدة التي يُجرئها الروح، وتبكيته، وتبريره، وتقديسه لنا. كما تناولنا دوره في الحياة المسيحية من خلال النظر إلى سُكناه في المؤمنين، وتقديسه لهم، وشفاعته فيهم، وحفظه لهم. في هذه السلسلة عن النيوماتولوجي أو عقيدة الروح القدس، تناولنا لاهوت الروح القدس، وشخصه، وعمله. كما أولينا انتباهًا خاصًا للجوانب المختلفة من تعامله في الثالوث، وفي العالم، وفي الكنيسة، وفي المؤمن. ورأينا أن الروح هو أفنوم الثالوث الذي يعمل بصورة مباشرة وبدرجة أكبر في الخليقة، ويؤثر بصورة مباشرة بدرجة أكبر على حياتنا. فإن تذكّرنا أهمية خدماته، وحضوره معنا، وإن اتكلنا على هذا، فسوف نكون أكثر استعدادًا لاجتياز مصاعب الحياة وضغوطها. وسنكون أكثر وعيًا بمدى صلاح إلهنا، وبقدر الشكر، والحمد، والولاء الذي يستحقّه.

د. ق. عماد عزمي ميخائيل (المقدم) هو راعي ولاهوتي مصري قام بالتدريس في عدة كليات وكنائس في الشرق الأوسط وأماكن أخرى. وهو حاليًا مدير كلية الإرسالية العظمى بمصر، ويكتب تفسيرًا لرسالة رومية باللغة العربية. حصل د. عماد على درجة الماجستير في اللاهوت الرعوي (M.Div.) من كلية جريس اللاهوت، ودكتوراه في الخدمة المسيحية (D.Min.) من كلية ترينيتي للاهوت والخدمة.

د. داني أكين هو مدير كلية الجنوب الشرقي المعمدانية للاهوت.

د. ديفيد كوريا هو راعي كنيسة يسوع المشيخية ومدير معهد خدمة الشباب في كلية سان بابلو المشيخية للاهوت في ميريدا، المكسيك.

د. آلان هولتبرج هو أستاذ مشارك لتفسير الكتاب المقدس والعهد الجديد بكلية تالبوت للاهوت.

د. دينيس جونسون هو العميد الأكاديمي وأستاذ اللاهوت العملي في كلية وستمنستر للاهوت بكاليفورنيا.

د. جيف لومان هو كبير رعاة كنيسة إيفانجيل المشيخية (PCA)، في ألاباستر، ألاباما، وأستاذ لعلم الوعظ واللاهوت النظامي في كلية بيرمنجهام للاهوت.

ق. مايك أزبورن هو الراعي الشريك لكنيسة الجامعة المشيخية بأورلاندو، فلوريدا.

د. جون أوزوالت هو أستاذ متميز زائر للعهد القديم في كلية أزبوري للاهوت.

د. مارك سوسي هو أستاذ اللاهوت ورئيس قسم اللاهوت في كلية تالبوت للاهوت.

د. ق. ألفريد سيباهيني هو عميد جامعة القديس يوحنا في تنزانيا.

د. سايمون فيبيرت هو الراعي السابق لكنيسة القديس لوقا، ويمبلدون بارك، بالمملكة المتحدة، ويشغل حاليًا منصب نائب مدير ويكيليف هول، بأكسفورد، ومدير كلية الوعظ.

قائمة المصطلحات العسرة

هستوريا سالوتيس (historia salutis) - تعبير لاهوتي يعني "تاريخ الخلاص"، أي الطرق التي أجرى من خلالها الله الخلاص لشعبه في التاريخ.

مقدس - نقي أخلاقياً، مخصص للاستخدام في خدمة خاصة لله.

الاستنارة - موهبة إلهية للمعرفة أو الفهم، وهي في الأساس إدراكية، تسند لعمل الروح القدس.

السكنى - الحضور الخاص للروح القدس داخل المؤمنين والاتحاد الروحي معهم.

التشفيع - التوسط أو التوسل من خلال الصلاة نيابة عن آخر.

الإرشاد الداخلي - موهبة إلهية للمعرفة أو الفهم، وهي في الأساس عاطفية أو حدسية تُسند لعمل الروح القدس.

التبرير - التصريح الأولي بالبر عندما يُعفى المؤمن من ذنب الخطية ويحتسب له بر المسيح.

التقديس المستمر - التقديس الذي يحدث طوال حياتنا، حيث يطبق الروح القدس الغفران بشكل مستمر عندما نخطئ ويحولنا تجاه البر.

أوردو سالوتيس (ordo salutis) - تعبير لاهوتي يعني "ترتيب الخلاص"، وهو الترتيب الذي به ينطبق الخلاص على المؤمنين أفراداً.

بالينجينيسيا (παλιγγενεσία) - كلمة يونانية (بحروف عربية) تعني "الميلاد الثاني" أو "الولادة

أنوثين (ἄνωθεν) - كلمة يونانية (بحروف عربية) تعني "ثانية" أو "من فوق".

إقرار إيمان دورت - قرار كُتبه سنودس دورت في عام 1619 حدد الخمس نقاط الكالفينية ودافع عنها ردًا على الجدل الدائر حول الأرمنية.

التجديد - تشير إلى تحول من شيء إلى شيء آخر؛ في اللاهوت، هي الخطوات الأولى للخلاص عندما يأتي الشخص للإيمان الخلاصي بيسوع المسيح.

التبكيث - في اللاهوت، هو الوعي بذنب خطايانا وبكونها خاطئة.

التقديس التام - التقديس الذي نحصل عليه عند التجديد، حدث يقع مرة واحدة، حيث يُفرزنا الروح القدس ويظهرنا من خلال اتحادنا بالمسيح.

ديكياو (δικαίω) - كلمة يونانية (بحروف عربية) تعني التصريح بالبر، التبرير، يعلن براءة.

الدعوة الفعالة - عمل الروح القدس حيث يُنتج تأثيره بالنعمة (أو دعوته) توبة حقيقية وخلص، يُسمى في بعض الأحيان "النعمة التي لا تُقاوم".

ثمر الروح - تشبيه يُستخدم في الكتاب المقدس (مثال غلاطية 5) ليصف استعلان النضوج الروحي في المؤمنين.

التمجيد - الحالة النهائية لخلصنا، حين نستقبل أجسادنا الأبدية الكاملة ونصبح ما قُصد أن نكون عليه تمامًا، منتصرين بالكامل على الخطية والموت.

الجديدة".

التقديس التدريجي - التقديس الذي فيه نتدرج في القداسة، كي نزداد في التقوى طوال حياتنا المسيحية.

الولادة الجديدة - الخلق ثانية، الولادة من جديد، في اللاهوت، هو حدثٌ فيه ينتقلُ إنسانٌ من حالة الموتِ الروحيِّ إلى حالة الحياة الروحيَّة.

التقديس - جعلُ الأشخاصِ والأشياءِ مقدَّسين.

السيثولوجي - عقيدة الخلاص.

يوم الخمسين - احتفال يهودي، يُسمى في الكثير من الأحيان "عيد الأسابيع"، يحتفل بالحصاد المبكر، ويحتفل به المسيحيون كيوم انسكاب الروح القدس على الكنيسة الأولى.

الحفظ - في اللاهوت، عملٌ مستمرٌ ومتراصفٌ للروح القدس به يضمنُ مثابرة المؤمنين في الإيمانِ إلى أن يكتملَ خلاصنا.